الجمعية الملكيـــة(*)

للأستاذ خليل السالم

لم تتمتع جمعية علمية بحياة طويلة ثابتة المبدأ متصلة الكفاح باهرة النجاح كما تمتعت الجمعية الملكية فى لندن ، مع أنها ليست أقدم(١) الجمعيات العلمية فى العالم ؛ فهي تعود فى تاريخ تأسيسها إلى الحرب الأهلية ، إذ اجتمع سنة ١٦٤٥ نفر من رجال العلم الذين يفيضون غيرة وحماسة ، ويأنفون أن تتخبط البلاد فى المنازعات السياسية والعصبيات الدينية ، وأرادوا أن يتوجهوا بالفكر إلى ميادين أسمى وأكثر جدوى ، وجعلوا غرضهم المباشر فهم قضايا الفلسفة التجريبية التى ظهرت على مسرح فكرهم حديثاً . وقد عقد الاجتماع الأول فى كلية جريشام Gresham فى مدينة لندن . ونقل مكان الاجتماع إلى كلية وادهام Wadham College من جامعة أكسفورد عندما انتسب جون ولكنز John Wilkins مدير هذه الجامعة إلى المؤسسة الناشئة ، وكان من أوائل منشطيها ومشجعيها

وفى سنة ١٦٦٢ أصدر الملك شارل الثانى مرسوماً بتأسيس الجمعية ، واعتبارها هيئة تعاونية رسمية . ويصلح هذا التاريخ أن يكون بحق فجراً جديداً فى تاريخ العلم ، ومبدأ نهضة وهاجة السنا باهرة الإشراق . وكيفما كانت الصورة الماجنة المستهترة التى تقدمها كتب التاريخ عن مؤسس الجمعية الأول شارل الثانى ، فلا ريب أنه كان يقدر العلم والعلماء ، ويرى ببعيد نظره ما يمكن أن يدر تشجيع العلم على ثروة البلاد من المغانم الكبرى والربح الوفير . وكان سياسياً حاذقاً ومثقفاً واعياً عندما اكتسب لنفسه لقب مؤسس الجمعية الأول . وكان مدركاً لروح العصر الجديد الذى تميز بهدم تعاليم أرسطو على يد نبي العلم « بيكون » ، وبنبذ الخرافات والشعوذات ، وبالانصراف عن العلم المنقول إلى الطريقة التجريبية والتحقيق العلمى

وكان هدف الجمعة كما ورد في مرسوم تأسيسها « تحسين المعرفة الطبيعية » . وناضلت الجمعية فى سنيها الأولى نضالاً عنيفاً قاسياً ، فلم يمدها مؤسسها الأول بالمال الذى رصده لها ، كما لم يتمكن أعضاؤها من دفع رسم الاشتراك ، أو لم يرد بعضهم ذلك . إلا أنه لما تبوأ نيوتن كرسى الرياسة (١٧٠٣ — ١٧٢٧) تحسن دخل الجمعية ، لأن العلم المنظم وصل مستوى عالياً من النجاح والتطبيق على يد العالم العبقرى الفذ نيوتن الذى فرض احترامه واحترام نظرياته واكتشافاته على الوسط العلمى ، واستفاد الفرناء Fellows منه ، وشعروا بشرف الاشتراك معه فى العمل والبحث . ولم تحظ الجمعية برئيس بث الدم فيها وأحيا مواتها وجدد حياتها ورفع من قيمتها كنيوتن إلا فى القرن الثامن عشر عندما تولى مقاليدها السر جوزيف بانكس Joseph Banks ؛ فقد تحددت مرامى الجمعية فى ذهنه واضحة صريحة ، وانتهى إلى أن الفائدة المرجوة والثمرة المنشودة لن تدنو قطوفها إلا بحماية رسمية ، فقبل فى عضوية الجمعية أشخاصاً لم يكونوا علماء بكل ما فى الكلمة من معنى . وبالرغم من اتهامه بالتفريط فى حق العلم والعلماء والهجوم الشديد الذى وجهه إليه أعداؤه ، فإنه استطاع أن يجعل من أولئك الأعضاء أصدقاء للعلم واستخدمهم لجمع المال الضرورى للبحث العلمي . لم يتسن للحكومة أن تسيطر على الجمعية وتستغلها فى مصالحها الخاصة ، ولكن علاقات وثيقة ودية كانت تربط الجمعية بالسلطة . فاستعان بإرشاداتها ملوك وساسة ومديرو مصالح ، وعرضت الجمعية خدمتها على الحكومة فى كل مناسبة

(*) عن الانجليزية مع إضافات وتعليقات مجة

(١) انبث من إيطاليا أولا نور عصر الأحياء فنسبقت إلى تأسيس الجمعيات العلمية ، فتكونت فى نابلى « مدرسة الأسرار الطبيعية » سنة ١٦٥٠ ، وتأسست جمعية فلورنسا سنة ١٦٥١ ، وجمعية فى روما على أيام جاليليو . أما أكاديمية العلوم الفرنسية فقد بدأت عملها سنة ١٦٦٦ ، وجمعية برلين على يدى ليبنتز سنة ١٧١٠ ، وجمعية بطرسبورج على عهد بطرس الأكبر سنة ١٧٢٥

كانت مصلحة الوطن فيها تستدعى الجهد العلمى الرسمي .
واعترافاً بمثل هـذه الخدمات القيمة رصـد البرلمان الإنجليزى سـنة ١٧٧٨ وما بعـدها مخصصات باهظة لتضخيم ميزانية الجمعية .

ونتعب إن حاولنا تقصى المناسبات التى حلت فيها الجمعية مشاكل رسمية . ولـكننا نرى اليوم عشرات القرناء منهمكين فى الاختبارات العلمية التى تسرع بربح الحرب والتى تختلف بين تأمين الطعام لجميع أفراد الأمة وبين ابتكار أقوى الأسلحة الحربية فتكا وتدميراً .

يبلغ عدد أعضاء الجمعية ٤٥٠ عضواً منهم ٥٠ عضواً أجنبياً . وبينما كانت مقاعد الجمعية تضم فى وقت ما كل علماء انجلترا أصبحت اليوم ضيقة بهم ؛ مما جعل الانتساب إلى الجمعية حلماً عبقرياً يتردد فى ذهن كل عالم ، وشرفاً كبيراً تتجه إليه الهمم ... والواقع أن العضو فى الجمعية يحرز فوائد مادية جمة فضلاً عن مظاهر التـكريم والإجلال . سئل أحد القرناء الأطباء عن معنى الأحرف الثلاثة F.R.S.[1] التى تلحق باسمه . فأجاب بأنهـا تعنى : Fees Raised Since أى أن أجوره ارتفعت بعد أن أضيفت هذه الأحرف إلى اسمه . ومن هنا كان الانتساب إلى الجمعية يقتضى كفاية نادرة وسبقاً علمياً معترفاً به فى أحد ميادين المعرفة . ولا يرشح أحد العلماء للعضوية إلا بعد أن يزكيه ستة أعضـاء على الأقل بشرط أن يكون بينهم ثلاثة خبروا معلومات المرشح ومؤهلاته واكتشافاته واتصلوا به اتصالاً شخصياً . وبعد مشاورات طويلة يعرض مجلس الجمعية كشفاً بأسماء المرشحين ويجرى الانتخاب فى آذار من كل عام . وتوزع الجمعية يوم ٣٠ نوفمبر دائماً عدداً من الأنواط على السابقين من أعضائها المشهود لهم بالفضل والنبوغ

ويدير شئون الجمعية مجلس يتألف من (٢١) عضواً يجدد انتخابهم كل سنة . أما رئيس الجمعية وسكرتيرها للمراسلات الخارجية فيبقيان فى منصبيهما خمسة أعوام . ويحتفظ أمين الصندوق وسكرتير الجمعية للأبحاث البيولوجية وسكرتيرها للأبحاث الطبيعية بمناصبهم عشرة أعوام . ولا يحق لقرين غير هؤلاء أن يخدم فى مجلس الجمعية أكثر من عامين متتالين

وتساعد لجان خاصة مجلس الجمعية على تنظيم الميزانية وتوجيه البحث العلمي وطبع الـكتب . وترصد الجمعية مبالغ طائلة لتمويل الجهود العلمية . ولـكن أهم وظائف الجمعية نشر البحوث التى يتمها القرناء وشرح كشوفهم ، فهى تطبع سجلاً سنوياً يضم أحدث الأبحاث العلمية التى يحرص رجال العلم المنتشرون فى كل بقاع الأرض على درسها وفهمها

ولا تتأثر الجمعية بنزعات الجنس والدين ؛ ولها اليد الطولى فى شيوع النظريات العلمية والدعوة إلى اتحاد علمى عالمى ، والبلوغ « بدولية العلم » مستوى يكاد يقرب من الـكمال

وتضم مكتبتها ما يزيد على (١٥٠) ألف مجلد ، وتقتنى أوفى مجموعة لمنشورات الأكاديميات العلمية فى جميع أقطار المعمورة ؛ وقيودها وسجلاتها مصدر تاريخى لا نظير له استفاد منه كثير من طلاب العلم

وكلمة أخيرة ، عن كنوز الجمعية . ففى ردهاتها لوحات رسمها أمهر الفنانين البريطانيين لأشهر علمائهم منـذ القرن السابع عشر حتى اليوم . وسجل الجمعية الذى وقع فيه جميع القرناء منذ تأسيس الجمعية كنز لا يثمن . وفيها صولجان أثرى يضعه الرئيس أمامه أثناء انعقاد الاجتماعات . وفيها المرقب العاكس الذى صنعه نيوتن . ومخطوطة كتاب « المبادىء » ـ ومنها نقلت الطبعة الأولى ـ وهناك فرجاران من مخلفات كرستوفر رَن ، ومفرغة هواء هوكسبى ، وساعتا وقف من عمل أرنولد استعملهما كوك فى رحلتيه الثانية والثالثة حول العـالم ؛ ومصباح الأمن الذى اخترعه ديفي ، وغير هذا كثير من الأجهزة العلمية التى كانت ملـكا للجمعية ومنحتها لمتاحف العلم .

(السلط — شرق الأردن)

خليل السالم

(١) تشير الأحرف الثلاثة إلى : Fellow of the Royal Society